جمرة النص الشعري عند الشاعر الكبير محفوظ داود سلمان

ا. د. صدام فهد الاسدي

لا يختلف اثنان بان الفرق بين علم النص والتحليل النصي الاول في خصائص الخطاب الادبي العليا اي في علم الشعرية والثاني بتحليل النصوص على وفق مناهج معينة لاستخراج الهويات الفرعية لذا يشمل علم النص فرعين احدهما نظري والاخر تطبيقي .

كثيرا ما شغل النقد بالتنظير وتقديم المسلمات في تحليل النصوص واني اعجب كل العجب من مواجهة النص دون اكتشاف ودون انكباب كما ينكب العطشان على ماء النهر ولا فرق فالشعر نهر يسقي متلقيه وقارئه ويملا ظماه وقد اقف مع شاعر درسته في اطروحة الدكتوراه عن البصرة .

ومن هنا ابحث عن شاعر بصري طالما غيبته المدينة وافقت موهبته المتفجرة في جدران الغضب وحرمته من النوم هادئا في سجن الحرمان شاعر كبير ابن مدينتي البصرة ام الشعراء البريكان وسعدي يوسف وعبد الكريم القاصد ومجيد الموسوي وفوزي السعد وحسين عبد اللطيف وحامد البصري وقد اخذ الجميع حقه الا محفوظ وهو اخ اكبر ناقد وشاعر في البصرة وقد تألمت كثيرا عندما استلمت مجاميعه الشعرية من لدن الدكتور مصعب التدريسي في كلية الآداب في مساء يوم٢٠١٦/٤/١٦ ولن اصف فرحتي ودفعت له اعمالي النثرية بيد الدكتور مصعب وقد اسفت كثيرا بان الشاعر لا يعرفني انا شاعر مثله ظلمني الجلاد والحكام

وكتب في الاهداء (الناقد المبدع صدام فهد الاسدي) وعلى جميع المجاميع الشعرية) وتأكدت ان الشاعر محفوظ بعيد عن الاعلام

ومن حقه ان يكون بعيدا عنه وما علم بي اني استاذ جامعي لاويت الصعاب وقهرت المستحيل حتى قبلوني في كلية التربية١٩٨٠\

وذكرت اسم الشاعر العزيز في اطروحتي للدكتوراه (البصرة في الشعر العراقي من ١٩٤٥-١٩٨٠ اشرف عليها الاستاذ الدكتور سعيد عدنان المحنة في جامعة الكوفة ٢٠٠١

واختار واحدة من المجموعات الشعرية (حانة المقبرة) واقول بصراحة شاعر وناقد ومسرحي وشاعر شعبي ايضا ان هذه المجموعة رائعة جدا بأفكارها ومعانيها ورمزها ودلالتها

واقول مرة اخرى هذه المجموعة سوف اعطيها لواحد من طلاب الماجستير تحت اشرافي مستقبلا لما فيها من تطورات نسقية لغوية وتضمينية ومفارقية ومتوازية وتشكيلات رمزية واسطورية وقناعية وقصصية ودرامية ومونتاجية واعد الشاعر الكبير وعدا كما وعدت الشاعر رشدي العامل سنة١٩٧٢ (وكان صديقي) بان اكتب عنه رسالة ماجستير وفعلا اخذت الماجستير من كلية التربية ١٩٩٥ (شعر رشدي العامل دراسة موضوعية وفنية)

ومن المعروف ان حركة الحداثة في الشعر العربي استهدفت البناء بشكل اساس وكان محفوظ من الشعراء المحافظين لهذا البناء بناء بسيطا ومركبا ضمن اهرام مسطحة وهرمية وذهنية وانساق اشياء واحداث وافكار وهذه كلها نجدها في مجموعة الشاعر البصري

وحين نبحث عن معجمه الشعري لا نستطيع ان نلحق موهبته وكلنا نعلم ان اللغة هي اساس العمل الشعري

نجد المعجم الشعري غزير يفيض بألفاظ الطبيعة الاشجار

(ربما الاشجار قد تثمر شهدا) ص٥

وهذه دقة كبيرة الشهد في اخر الثمرة يعطيه الاشجار: والبحر (في جنون البحر ص٩ كيف يصف البحر مجنونا يطفح اخر الغضب والثلج)

(في منزل الاشباح لا ثلج ولا رجع بعيد) ص١٢

وهو يتناص مع الآية الكريمة في سورة قاف الآية الثالثة (اذا مسنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) ٣

وفي قوله (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن٤٩) وهنا تناص مع المثل السائد ولما يصف المطر يوكد قول السياب في قوله : (والارض لم تسمع بأجراس المطر) ٦٩ هذا نشيد سيابي خالص

وحين يقول (وتنمو زنابق حمر في اصص القذائف) ١٠٣يوكد على اللون الاحمر مختلفا عن القذائف وحين يقول (من رمل صحرائي تقول احب في عينيك هذا الحزن) هذا لا يقوله أي شاعر انظر الى الصورة الشعرية المختزنة في هذا القول الرمل كيف ينظر منه بصير شديد النظر وتنظر الحبيبة في عينيه وترى الحزن الغائم

ومثلها يقول في وصف الصحراء وهي من مفردات الطبيعة الجامدة (ترتحلين بين الريح والصحراء في ارض الغبار) ١٥٢

هذا وصف جاهلي عند لبيد وزهير وهو كذلك الشاعر البصري محفوظ لايقل عنهما شانا وابداعا وصورا شعرية رائدة

معجم المكان

المكان مرتبط بالإنسان حيث لاوجود للإنسان من دون مكان سواء كان هذا المكان معاديا ام اليفا فالشوق اليه والحنين الى ذكرياته تعد ذكريات عند الشاعر ويعد طلله الذي يبكي عليه ان هجره او فارقه

وتعد عند الشاعر محفوظ بيته وخصيبه واهله وجداوله واقرب ذكرياته واولها (المطيحة) ص١٣٥في قوله

انسيت انهار المطيحة كيف لملمت المحار ١٣٥

هو يستذكر ذكرياته مع اخيه الشاعر والناقد البصري المرحوم عبد الجبار البصري

ثم لا يبعد بعيدا عن حدود وطنه ويستذكر ام الدنيا مهد الحضارات بغداد في قوله

(في المخفر العربي هل سألوك عن بغداد) ١٣٣

ويعد هذا المكان مكانا اليفا وتتجمع الاماكن واقربها القدس من الذاكرة في قوله

تأتي من القدس القديمة من بيوت الطين٩١

ثم الرموز العربية القديمة (سر من راى) مدينة سامراء

من سر من رأى انا معتصم بالوجد والسراب١٦١

وتعد هذه مكانا اليفا يزوره ويتفقد الامامين العظيمين في سامراء

ثم لا يخرج الحدود العربية ويتذكر الاقصى

(كيما يصلي للحجارة او يجي البحر في الاقصى) ٩٠

ويعبر الحدود الى راس الرجاء الصالح

(راس الرجاء الصالح يدعونني الى العبور) ٣٤

ثم كيسمايو (في كيسمايو كنت ابيع السمك) ٦٣

انها ذكريات مريرة من الداخل والخارج ثم يعلن في قصيدة نشيد القرصان الاخير نفسها

(ليست مقديشو وطنا للبيع) ٦٣

ويتذكر ماريانا في غرناطة العربية كما تذكر ابن الاندلس

في قوله

(في غرناطة تبحث ماريانا عن شاعرها الجواب) ١٤٦

والدليل يشير الى انه شاعر متنقل غريب عن وطنه ولا تمسح ذكرياته مهما ابتعد عنه ان المكانات عند الشاعر محفوظ كلها اليفة مهما ابتعد عنها

حتى اذا وصل بحر البسفور ويصف ليله الثلجي

(هل انت في البسفور ليلا) ١٠٩

واخر الاماكن يتذكر الشاعر ناظم حكمت في قصيدة اسطنبول مدينة على البحر :

(اواه اسطنبول هل مازال ناظم شاعر الفقراء) ١٠٩

وهكذا تنتهي الاماكن الاليفة عند الشاعر المبدع محفوظ تبدا بالمطيحة وتنتهي في البسفور والشاعر يثبت الانسان له ذكريات ماريا ولكن ليس ماريا بقيمة المطيحة مهما اتت من جمال ومحبة

اسماء الاشخاص والاماكن

نجد الكثير من الشعراء قد اكدوا على الشخصية الانسانية ولاسيما المشكلات الروحية المتجددة في كل عصر وعند الشاعر محفوظ يقدم الشخوص على ثنائيتين هما الصراع بين الخير والشر

لذا جاءت عنده الشخصيات ببنى متعددة تبدا بعبلة حبيبة عنترة العبسي قائلا:

يا دار عبلة في الجواء ١٢٦

وهو يتناص مع الشعر القديم يا دار مية بالعلياء فالسند وثم زرقاء اليمامة تلك المرأة التي ترى قومها من مسافة بعيدة

(تعبر ليست زرقاء اليمامة هذه بين الشعاب٩١٣٠

ويذكر شخصية السيد المسيح ويشير الى معجزاته

(كمسيح يمشي فوق الماء) ١٤٣

ثم لشخصية حي ابن يقظان عندما كان شريدا منعوه الصلاة

(وبها حي ابن يقظان شريد في صلاة) ٥

وكذلك يشير الى قيس مجنون ليلى ويخاطب من يحبها

(امتلكيني مثل قصيدة واعشقيني مثل قيس) ٣٨

ولا ينسى جميل بثينة الشاعر العذري الذي احب ومات في حبه

(امتلكني مثل جميل بثينة وتعال غازيا) ٣٨

وحكاية ابن العبد لم تفته

(امر ملكي يعدم فيه ابن العبد بزق) ٨١

ثم يتطرق الى الاساطير غربية مثل سيزيف

(هل انت سيزيف بلا صخرة١١٧والشخوص غربية مثل دامو

(اواه يادامو وترفع صوتها) ١١٤

وكذلك المناضل كانتزاكي

(كانتزاكي يارفيق) ٩

وشخصية الشاعر الاخضر بن يوسف قائلا

وكان الشاعر الاخضر ابن يوسف مصلوبا) ١٤٠

وهو يشيرالى المجموعة الشعرية الخاصة بالشاعر الخصيبي سعدي يوسف الذي عاش عمره مغتربا من العراق ولم يعد اليه حتى الان وشخصية الناصري:

(والناصري موزع بين الجذوع تنوء) ١٣١

وقوله في ابي فهد (ماذا تبقى من ابي فهد) وهو ويشير في هامش المجموعة الى نظارة ابي فهد احد دروس الصف الثاني الابتدائي١٣٧ في قصيدة المربد اخير يهديها الى شقيقه المرحوم عبد الجبار البصري لقد وردت هذه الشخصيات بملامح متنوعة لكن يشير من طرف خفي الى المضامين التي ترتبط بهم بنص واخر لا فرق بينهم وهو يحمل الالم ويناغيهم بوجع وحرقة

التشكيلات الرمزية عند الشاعر محفوظ داود سلمان

و يخرج الشاعر من رتابة الرموز القديمة التي استهلكت مثل الضوء الفجر المطر ويبحث عن نوع جديد يحاكي به معاناة هو يبتعد عن القصيدة المباشرة والتقريرية

الرمز

يتسرب الرمز الى ثنايا النص الشعري ويسري في مفاصله لما يمتلك من وظيفة جمالية كبرى في العمل الابداعي ويخرج الشاعر من رتابة الرموز القديمة التي استهلكت مثل الضوء الفجر المطر ويبحث عن نوع جديد يحاكي به معاناته و يبتعد عن القصيدة المباشرة والتقريرية

١- مثل عوليس (ليس عوليس الشريد على شراعات ممزقة يعود) ١٦٥

دامو هو تموز في قصيدة معروف الرصافي (اواه يا دامو وترفع صوتها امرأة ويذبل في النواح) ص١١٤

سيزيف – هل انت سيزيف بلا صخرة يشير الى اسطورة سيزيف الذي اقتبس نارا واحرق بروميثوس ولم يسرق منها شيئاً) ١١٤

ديوجينوس (هل انت روح من ديوجينوس لا زيت ولا دربجوف المحار) ١١٧

عوليس – الاسطورة (لم يبدأ عوليس هنالك رحلته) ٦٤

- نارسيس رمز اسطوري اخر (نارسيس كان يلم زهر النرجس المحروق يعبث في المرايا) ١٢٢

- الزنابق السوداء (وزنابق سوداء تنمو والفراش منثر فوق اللهيب) ١٢٢

- عذاري الحي اسطورة قديمة (فلعل عذاري الحي ستذكرني او بعض نساء) ٨٣

- زنوبيا ملكة تدمر (زنوبيا في القيد ترفل و القوافل غادرت بصرى) ١٦٥

- افروديت – التي تسترت بالموج لتستر عريها (هل ان افروديت تستر عريها بالموج يلمع في ضفائرها الضباب) ١٠

- اوفيليا اسطورة اصابها الجنون (في ضفاف نهر دجلة كأنك اوفيليا اصابها الجنون) ١٠٥

- التشكيل القناعي تعد قصيدة القناع من التقنيات الفنية التي لجا اليها الكثير من الشعراء المعاصرين للاقتراب من الطابع الدرامي الذي يجعل الشخصية التراثية بمثابة قناع بث عبره مواقفه وراءه بعيدا عن الطابع الغنائي من تلك الاقنعة التي ذكرها الشاعر محفوظ طارق بن زياد الذي قال البحر من امامكم يقول الشاعر (سفر يرسم البحر او يشعل النار في موجه طارق من جديد) ٢٤

ديك الجن الدمشقي – (لا تذبحني مثل ديك الجن او تشرب من دمي) ٨٣

نبي الله يوسف (ليس هناك من يوسف في البئر المهجورة) ٥٥

طرفة بن العبد والملتمس شاعران من العصر الجاهلي كلاهما حمل كتابا يتضمن امرا بقتله نجا منها المتلمس بعد ان فتح كتابه وقتل طرفة في البحرين مخمورا ٨١

حتى لو كان المتلمس يهرب نحو الشام

امر ملكي يعدم فيه ابن العبد بزق من خمر ٨١

قناع الحلاج (كنت بحثت عن الحلاج ترافقنا في مقهى) ٩٤

ابو نواس الشاعر العباسي ذو الضفيرتين صاحب التمثال المقام في بغداد شارع ابي نواس (او يهم ابو نواس تمثاله الحجر يغادر صمته ومضى يبيع الشعر في سوق النحاس) ١١٤

الشاعر الرصافي شاعر بغدادي (كان الرصافي الحزين يجي يبحث عن قصيدته) ١١٥

ابن زريق البغدادي – وابا الطيب المتنبي ص ١٤١

السيد المسيح (كمسيح يمشي فوق الماء) ١٤٣

المعتصم في سر من رأي (من سر من رأي انا معتصم بالوجد والسراب) ١٦١

ابو عبد الله الصغير اخر ملوك غرناطة ص ١٧٠

(اشم عبير عائشة تجي ولا تجي سوى خيول الريح ١٧١

الحلاج (كنت بحثت عن الحلاج) ٩٤

وبنو امية (وبنو امية في قرار الكاس ضائعة) ١٣١

س – الام الرووم (لهم ام رووم) ٦٠

المرأة الرمز (اراك تخرجين كل ليلة) ١٧

اراك لحنا – غامضا – قافية ضائعة او مهرة زنبقة لحنا غائما او حطبا مشتعلا وقدة شفافة سهم من الضوء صوتا بعيد الصدى – امرأة من جنون مغرقة في التفاصيل – مهجورة – غائمة من بعيد – صوت من الامس البعيد

المرأة الذابحة (لا تذبحني مثل ديك الجن او تشرب من دمي) ٣٨

المرأة الموجة الوحشية (هل انت اجمل موجة وحشية) ٧١

زرقاء اليمامة (الكثبان تنبي ان زرقاء اليمامة ما تزال) ٨٩

المرأة الغارقة (وجدتك في الفراغ الدامي غارقة) ١٠٥

افروديت (ثم افروديت تولد من جديد) ١٠٨

بلقيس (هذه بلقيس ساقاها محرقة) ١٣٢

عشتار (يقتسمون عشتار الجميلة) ١٣٣

واجد القلادة الاولى محصورة بين الكاس والخمر يدل على الظما قوله

مازال بعض الخمر في كاسي

وفي القصيدة نفسها

هل يسكب الشعراء مثل الخمر في الطرق القديمة

والعجيب يستقر مع الكاس الرابط الثلج الذي يحتاجه الشارب وبالرغم من ذلك يظل محفوظ ضما

القلادة الثانية الخيانة

في قصيدة خيانه تفوح الخيانة مباشرة من النص حيث يقول الشاعر

حينما اموت في خيانتي

ثم يستأنف تخونني تخونني ذاكرتي

تخونني نظارتي

تخونني قصيدتي

تخونني مدينتي

ثم ينتقل من الاعلى الى الاسفل

يخونني السرير

تخونني الاشياء

تخونني مكتبتي وربما يخونني الكتاب

هذه الاحتمالية يخونني الكتاب احسن صديق واصدق طريق

ولاتوجد قصيدة عند الشاعر دون ان تنبت اشجارا وموسيقى وتتمسك بالثلج

في شمال الحب تغمرك الثلوج

في جنوب الحب تسترك اشجار النخيل

هذه قصيدة فلسفة واكد لك جازما قوله في قصيدة غزل عراقي تستحق ديوان اخر ليشرح معانيها منها قوله الغريب

لا تقسم السرير نصفين

نصفه لي والنصف الاخر لي ولك

هذه صور جاهلية تفيض به قريحة البصري محفوظ

واختار واحدة من مجموعاته الغزيرة بالصور (حانة المقبرة)

واجد القلادة الاولى محصورة بين الكاس والخمر يدل على الظما قوله

مازال بعض الخمر في كاسي

وفي القصيدة نفسها

هل يسكب الشعراء مثل الخمر في الطرق القديمة

والعجيب يستقر مع الكاس الرابط الثلج الذي يحتاجه الشارب وبالرغم من ذلك يظل محفوظ ضما

القلادة الثانية الخيانة

في قصيدة خيانه تفوح الخيانة مباشرة من النص حيث يقول الشاعر

حينما اموت في خيانتي

ثم يستأنف تخونني تخونني ذاكرتي

تخونني نظارتي

تخونني قصيدتي

تخونني مدينتي

ثم ينتقل من الاعلى الى الاسفل

يخونني السرير

تخونني الاشياء

تخونني مكتبتي وربما يخونني الكتاب

هذه الاحتمالية يخونني الكتاب احسن صديق واصدق طريق

ولا توجد قصيدة عند الشاعر دون ان تنبت اشجارا وموسيقى وتتمسك بالثلج

في شمال الحب تغمرك الثلوج

في جنوب الحب تسترك اشجار النخيل

استطيع ان اجزم بان الغلاف النهائي للمجموعة تعد ديوانا كاملا واعدها جمرة النص الشعري ولذا اختيار الشاعر محفوظ كان موفقا في الغلاف الاخير

لم يبق زيت استضيء به الى الطريق الى زوايا

النفس اهبط داخل اسامي واسمع رجع اجراس العبيد

صليل اغلال المماليك الحفاة لم تبق اشجار العبيد

هنا اقف محترقا بجمرات محفوظ هنا اقف مبتهلا يحفظ الابداع في كل مكان لو كتبت هذه المجموعة وتوقفت عن المجاميع اكبر شاعر في الزمن الحديث

كفاك تشعل بي الجمرات انا مشتعل اصلا من حرائق العراق وعذاباته

والحق اقول ان هذه المجموعة اطمأنت به الشعر حي خالد